

الامامة والسياسة

[168] وكانت أرينب بنت إسحاق مثلاً في أهل زمانها في جمالها ، وتمام كمالها وشرفها ، وكثرة مالها ، فتزوجها رجل من بني عمها يقال له عبد الله بن سلام من قريش، وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل. ووقع أمر يزيد من معاوية موقعا ملاءهما ، وأوسعهما غما ، فأخذ في الحيلة والنظر أن يصل إليها ، وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام: وكان قد استعمله على العراق ، أن أقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمرك حظك فيه كامل ، ولا تتأخر عنه ، فأعد المصير والاقبال. وكان عند معاوية بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما قدم عبد الله بن سلام الشام ، أمر معاوية أن ينزل منزلاً قد هيئ له ، وأعد له فيه نزل ، ثم قال لابي هريرة وصاحبه: إن الله قسم بين عباده قسماً ، ووهبهم نعماً أوجب عليهم شكرها ، وحتم عليهم حفظها ، وأمرهم برعايتها حقها ، وسلطان طريقها ، بجميل النظر ، وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره ، كما فوضه إليهم ، حتى يؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم ، فحياني منها عز وجل بأعز الشرف ، وسمو السلف ، وأفضل الذكر ، وأغدق اليسر ، وأوسع على في رزقه ، وجعلني راعي خلقه ، وأمنيه في بلاده ، والحاكم في أمر عباده ، ليلبوني أشكر آلاءه أم أكفرها ، فأياه أسأله أداء شكره ، وبلوغ ما أرجو بلوغه ، من عظيم أجره ، وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقد وينظر فيه ، فيمن استرعاه الله أمره من أهله ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت لي ابنة أردت إنكاحها ، والنظر فيمن يريد أن يبايعها (1). لعل من يكون بعدي يهتدي منه بهدي ، ويتبع فيه أثرى ، فإنني قد تخوفت أن يدعوا من يلي هذا الأمر من بعدي زهوة السلطان وسرفه إلى عضل نساءهم ، ولا يرون لهم فيمن ملكوا أمره كفئوا ولا نظيراً ، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال أبو هريرة وأبو الدرداء: إن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها ، وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها ، أنت صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية: اذكروا له ذلك عني ، وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ، غير أنني أرجو أنها لا تخرج من رأيي إن شاء الله ، فلما خرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما ، قال: ودخل معاوية إلى ابنته ، فقال لها: إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء ، فعرضاً عليك أمر عبد الله بن سلام ، وإنكاحي إياك منه ، ودعواك إلى مبايعته ، وحضاك على ملاءمة رأيي ، والمصارعة إلى هواي . فقولتي لهما: عبد الله بن سلام كفؤ كريم ، وقريب حميم ، غير أنه تحته أرينب بنت إسحاق ، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ،

(1) يبايعها: يصير بعلالها أي زوجها . (*)
